العدد 1966 - السنة السابعة
الجمعة 24 ذو القعدة 1435 - الموافق 19 سبتمبر 2014
Friday 19 September 2014 - No.1966 - 7th Year

قصيدة « الإستسقاء » لمحسن الهزاني نقطة تحول بتاريخ الشعر الشعبي

لم يسبق لأحد شعراء النبط أن كتب بهذا الشكل وبهذه الطريقة كما يخبرنا تاريخ هذا الشعر العظيم

دع لذيذ الكرى وانتبه ثم صل
واستقم بالدجى وابتهل ثم قل
يا مجيب الدعاء يا عظيم الجلال
يا لطيف بنا دايم لم يزل
واحد ماجد قابض باسط
حاكم عادل كل ما شاء فعل
ظاهر باطن حافظ رافع
سامع عالم ما بحكمه ميل
أول آخر ليس له منتهى
جل ما له شريك ولا له مثل
بعد لطفك بنا ربنا افعل بنا
كل ما أنت له يا إلهي أهل
يا مجيب الدعاء يامتم الرجاء
أسالك بالذي يا إلهي نزل
به على المصطفى مع شديد القوى
وأسالك بالذي دك صلب الجبل
الغنى والرضى والهدى والتقى
والعفو والعفو ثم حسن العمل
وأسالك غادي مادي كلما
لج فيه الرعد حل فينا الوجل

وادق صادق غادق ضاحك
باكي كلما هل مزنه هطل
المحث المرث المحن المرن
حامي سامي آني متصل
وأسالك بعد ذا عارض سايح
كن دقاق مثنى سحابه طبل
داير حاير عارض رايح
كل من شاف برقه تخاطف جفل
من سحاب حقوق صدوق جفول
عريض مريض ونّي عجل
كن في مزنه الا ما أرتدم وارتكم
في مثان السدا دامرات الحلل
ناشي غاشي سداه فوق السهى
كن مقدم سحابه يجرجر عجل
مدهش مرهش مرعش منعش
لمع برقه كما سيوف هند تسل
كن نثر الطهى يوم هب الهوى
فرق ريم جفل وارتهش واجتول
كلما اخطفق واصطفق واندفق
واستهل وانتهل انهمل كالهلل

أدهم مظلم موجف مركم
جوّر سيله يعم الوعر والسهل
به يحط الحصى بالوطا من علا
منحي بالرفا والغثاء بالشلل
حينما ارتوى واستوى واقتوى
استقل وانتقل اضمحل المحل
بعد ذا آخر ما حمى جور ماه
ثم يشيل الشجر في مسيل الفحل
كلما ازدجر واندجر وانفجر
ماه حط الحجر في جروف الجبل
والفياض أخصبت والرياض أعشبت
والركايا أرجعت والمقل اسفهل
والحزوم أربعت والجوازي سعت
والطيور اسجعت فوق زهر النفل
كن وصف اختلاف الزهر في الرياض
بالتلاوين فروش الزوالي تْفَل
بعد ذا علها مرهش قالط
في بقيا أربعٍ من سماك العزل
بعد هذا يعله زلال بدلال
قدر شهر سقى راسيات النخل

راسيات المثاني طوال الخصور
مستطيل المقادم جريد مظل
حيث هن الذخاير إلى ما بقى
بالدهر ما يدير الهدير الجمل
تغتني به رجال بوادي الحريق
هم قروم كرام الى جاء المحل
هم جزال العطايا غزار الجفان
هم شباب ضيف بليل هشل
يا مجيب الدعاء يا متم الرجاء
استجب دعوتي إنني مبتهل
امح سيئتي واعف عن زلتي
إنني يا الهي محل الزلل
الذي مد فيك يا الهي فلا
خاب من مد فيك الهي أمل
اهدني يا الهي فاني أقول
دع لذيذ الكرى وانتبه ثم صل
ثم ختمه صلاتي على المصطفى
عد ما أنحى سحاب صدوق وهل

محسن الهزاني

ذات سطر

المفردة بين ما يفرضه الشارع ويرفضه الشاعر

المفردة أداة توصيل، وهي – فيما تود الحديث حوله – جسر تواصل بين الشاعر والمتلقي .وإذا كانت كتب الأدب العربي قد خلدت مقولة الجاحظ الشهيرة (المعاني ملقاة على الطرقات) تناولها الأدباء وكل من يشتغل بهذا الشان من اكثر من زاوية و رؤية، وباتفاق واضح على صحتها . فهل كل مفردة صالحة للشعر ؟ اقصد هل هناك مفردات شعرية واخرى خلاف ذلك .

من وجهة نظري، أن الأمر ليس كذلك، وان العبرة في توظيف هذه المفردة أو تلك بشكل يتسق مع الفكرة دون تكلف او تبذل، وان المفردات أشبه ما تكون بأحجار الشطرنج التي يعتمد الفوز أو الخسارة فيها على ذكاء اللاعب ومهاراته، لا على الأحجار نفسها .

واتذكر في هذه الصدد مقولة قراتها لنزار قباني، يقول فيها: (إن الامتيازات العالمية لا تنطبق في المسائل اللغوية، بحيث نتحدث عن كلمة راقية وكلمة اقل رقيا، وكلمة شريفة وكلمة اقل شرفا) ويضيف: (الكلمات كلها بنات اصل، وهي كالثياب لا تأخذ شكلها النهائي إلا بنا) .

ولكن هل هذه قاعدة يُسار عليها بشكل مطلق؟ لقد اخذ النقاد على المتنبي، إسقاطه في قصيدته المعدوة بقوله: ما انصف القوم ضبه

وامه الطرطبه

إلى آخر هذا النص الفاحش البذاءة، وكان بامكان شاعر العربية الكبير ان يشتم ضبة هذا، بل يقتله شتما، دون أن ينحط بلغته والفاظه، لولا ان عينه كانت على متلق خاص عند كتابة هذه الأبيات، شانه في ذلك شان الشاعر الأخر الكبير جدا بشار بن برد الذي عوتب على أبياته التي يقول فيها:

رباب ربة البيت
تصب الخل في الزيت
لها سبع دجاجات
وديك حسن الصوت

فاجاب، انه قالها خصيصا من اجل (رباب) تلك الجارية التي تطرب لمثل هذا الشعر، ويدفعها للعمل على جمع المزيد من البيض، للشاعر . ويضيف أن هذه الأبيات أهم بالنسبة لرباب من كل ما قاله من شعر.

في ما سبق من أمثلة نجد الشاعر قد نزل عن كرسي الشعر، و تعامل مع القصيدة، بصفتها وسيلة سهلة لتحقيق غرض ما دون أي عناء شعري او استدعاء للموهبة الخارقة كما يفعل المتنبي في مدائحة غالبا، بمعنى انه كتب القصيدة بمعزل عن كينونته الشعرية، وكان للشخصية العادية اقرب .

في الشعر الشعبي، نجد أن الصورة السلبية تتضح وتأخذ الجزء الأكبر من المشهد، فالشاعر غير المشغول اصلا باية قضية حقيقية، والذي تتركز جهوده على الظفر باكبر قدر ممكن من فلاشات الضوء . هذا الشاعر لديه الاستعداد للتخلي عن ابسط الالتزامات الأدبية لتحقيق اغراضه تلك . ومن هذا المنطلق نصدم في كثير من الأحيان بعبارات سوقية رخيصة، تاتي ضمن قصيدة تلقى في محفل عام، او تنشر في مجلة تدخل إلى كل بيت .

في البداية قلنا أن الأمر يتوقف على توظيف المفردة، لا على المفردة ذاتها، ولكن، عندما تتحول القضية إلى ظاهرة او تشكل تيارا لا يستهان به، يتسابق أفراده إلى ابتذال الشعر، والإساءة للذوق العام، والتاسيس للغة تفرغ الشعر من مضامينه، وتحوله إلى بضاعة غير قابلة للتداول تحت الشمس، والا جلبت لقائلها – بل وحتى سامعها – الخجل والإحساس بالذنب والدونية . وإذا كانت تلك هي متطلبات الانتشار، وكان لها القبول لدى السواد الأعم عندها يجب على الشاعر أن يعي دوره المفترض، بالنهوض بالوعي العام وليس الانسياق خلف الموجة .

هذا لا يعني أن يتحول إلى رمز برجوازي مؤطر بأبعاد نخبوية بحتة، أو أن يمارس الاستعلاء على اليومي المعاش بتفاصيل كدحه النبيل وعرقه الطاهر . أنا لا اقصد ذلك نهائيا ولكن: عندما يضحي الشاعر بالوهج الإعلامي المرتقب من اجل القيم الأخلاقية والإبداعية.

عندما لا يكون ميكافيليا، تبرر غاياته وسائله، مهما كانت تلك الوسائل . عندما ينزل للشارع، ويطوف بقصيدته كل الأمكنة والاتجاهات، ولكن بوعي، يجعله ينهض بهذا الشارع، ويرفض مايفرضه عليه. عندها: نستطيع أن نقول انه شاعر حقيقي يعي رسالته، وأهمية موهبته ودورها المفترض .

مشعل الفوازي